تفسير إبن كثير

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

وقوله : (ورفع أبويه على العرش) قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : يعني السرير ، أي : أجلسهما معه على سريره .(وخروا له سجدا) أي : سجد له أبواه وإخوته الباقون ، وكانوا أحد عشر رجلا (وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل) أي : التي كان قصها على أبيه (إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) [يوسف : 4]وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ، ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى - عليه السلام - فحرم هذا في هذه الملة ، وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى .هذا مضمون قول قتادة وغيره .وفي الحديث أن معاذا قدم الشام ، فوجدهم يسجدون لأساقفتهم ، فلما رجع سجد لرسول االله - صلى االله عليه وسلم - فقال : " ما هذا يا معاذ ؟ " فقال : إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم ، وأنت أحق أن

يسجد لك يا رسول االله . فقال : " لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد ، لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها "وفي حديث آخر : أن سلمان لقي النبي - صلى االله عليه وسلم - في بعض طرق المدينة ، وكان سلمان حديث عهد بالإسلام ، فسجد للنبي - صلى االله عليه وسلم - فقال : " لا تسجد لي يا سلمان ، واسجد للحي الذي لا يموت " .والغرض أن هذا كان جائزا في شريعتهم; ولهذا خروا له سجدا ، فعندها قال يوسف : (ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) أي : هذا ما آل إليه الأمر ، فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر ، كما قال تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) [الأعراف : 53] أي : يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا من خير وشر .وقوله : (قد جعلها ربي حقا) أي : صحيحة صدقا ، يذكر نعم االله عليه (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو) أي : البادية .قال ابن جريج وغيره : كانوا أهل بادية وماشية . وقال : كانوا يسكنون بالعربات من أرض فلسطين ، من غور الشام . قال : وبعض يقول : كانوا بالأولاج من ناحية شعب أسفل من حسمى ، وكانوا أصحاب بادية وشاء وإبل .(من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) [ثم قال] (إن ربي لطيف لما يشاء

) أي : إذا أراد أمرا قيض له أسبابا ويسره وقدره ، (إنه هو العليم) بمصالح عباده) الحكيم) في أفعاله وأقواله ، وقضائه وقدره ، وما يختاره ويريده .قال أبو عثمان النهدي ، عن سليمان كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .قال عبد االله بن شداد : وإليها ينتهي أقصى الرؤيا . رواه ابن جرير .وقال أيضا : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، حدثنا هشام ، عن الحسن قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ، ثمانون سنة ، لم يفارق فيها الحزن قلبه ، ودموعه تجري على خديه ، وما على وجه الأرض عبد أحب إلى االله من يعقوب .وقال هشيم ، عن يونس ، عن الحسن : ثلاث وثمانون سنة .وقال مبارك بن فضالة ، عن الحسن : ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ، فمات وله عشرون ومائة سنة .وقال قتادة : كان بينهما خمس وثلاثون سنة .وقال محمد بن إسحاق : ذكر - واالله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثماني عشرة سنة ، قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب - عليه السلام - بقي مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه االله إليه .وقال أبو إسحاق السبيعي ، عن

أبي عبيدة ، عن عبد االله بن مسعود قال : دخل بنو إسرائيل مصر ، وهم ثلاثة وستون إنسانا ، وخرجوا منها وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا .وقال أبو إسحاق ، عن مسروق : دخلوا وهم ثلاثمائة وتسعون من بين رجل وامرأة . واالله أعلم .وقال موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد االله بن شداد : اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر . وهم ستة وثمانون إنسانا ، صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، وخرجوا منها وهم ستمائة ألف ونيف .